آفاق الحضارة الاسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية
السنة الخامسة عشرة، العدد الاول، الربيع و الصيف ١٤٣٣ هـ.ق، صص ١٠١-١١٩

المقارنة بين السنائی وأبی العتاهية فی الفكر الزهدی و ذكر الموت

معصومه شبستری*

صابره سیاوشی**

الملخص

لعل الشعراء أو الأدباء إذا خاضت أفكارهم فـی موضـوعات مـاوراء الطبيعـة تنعطـف أشعارهم على العرفان و الزهد. إنّ تأملاتهم فی الموت باعتباره قرينـا دائمـا للحيـاة و وجهات نظرهم إليه، تعدّ من المباحث التی لها مكانة خاصة فی الادب العالمی بمختلف مجالاته. إن هذا الموضوع تجربة مشتركة بين المجتمعـات الإنسـانية و لكـن القرابـة و العلاقة التاريخية التی نجدها بين الشعبين الإيرانی و العربی و كذلک وجود معـالم مـن الأفكار التقريبية بينهما، بعثتنا إلى الموازنة بين الشعبين الإيرانی و العربی و كذلک وجود معالم من الأفكار التقريبية بينهما، بعثتنا إلى الموازنة بـين الشـاعر الإيرانـی السـنائی و الشاعر العربی أبی العتاهية فی مجال الزهد و ذكر الموت. عمدنا إلى هذه المقارنة بسبب التشابه الموجود بين عصری الشاعرين و تأثرهما العميق بالعوامل الروحانيـة و مـاوراء الطبيعة التی تبعث فی ضمير الشاعر ثورة عظيمة. كما وبإمكاننا أن نتحـری مـا للثـورة الروحية و النفسية من التأثير فی أساس نظمهما و البنية الرئيسة لأفكارهما و ما بينهمـا من ردود الفعل المتشابهة نسبيا.

الكلمات الرئيسة: إيران، العرب، السنائی، أبوالعتاهية، الزهد، ذكرالموت.

١. المقدمة

إن الأدب المقارن من فروع النقد الأدبی الذی يتحدث عن التأثير و التأثر المتقـابلين بـين ثقافـة

* استاذة مساعدة بجامعة طهران Shabestari82@yahoo.com

** استاذة مساعدة بآكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية saberehsiavashi@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١/٢٠، تاريخ القبول: ١٣٩١/٣/١٥

Archive of SID

www.SID.ir

شعبين و أدبهما. و بما أنّ العمل الأدبى هو تجسيد لتجربة إنسانية كامنة، و للتجربة الإنسانية جوانب عديدة، فالقارى إذا أعاد تلك التجربة استجاب لأكمل صورة ممكنة منها، و قد تكون هذه الردود متفاوتة و متعددة، إذ إن كيفية البيان الأدبى، الذى هو بيان فنّى مؤثر يُلقيه الإنسان، تتفاوت بكل ما لهذا المعنى من الغناء و العمق و الغموض. إذن فإنا نواجه فى الأدب المقارن حجماً غنياً كبيراً من التجارب الإنسانية المشتركة، فنستطيع أن نشاهدَ وحدةَ المُثُل الإنسانية العليا و وحدة التجارب الروحانية والمعنوية فى الأدب العالمى وإن لم نعثر بين الأدبين على علاقة تاريخية موثقة.

على أساس من التعاريف المذكورة للأدب المقارن لايمكن الموازنة بين أدبين فى نطاق الأدب المقارن وما يتعلق به من الدراسات إذا لم يكن التاريخ قد أثبت أنّ واحدا منهما كان وافقاً على أفكار الآخر (طه، ١٩٩١: ٢٥). وبما أن العمل الأدبى تجسد لتجربة إنسانية كامنة، وللتجربة الإنسانية جوانب عديدة، فالقارئ إذا أعاد تلك التجربة استجاب لأكمل صورة ممكنة منها، قد تكون هذه الردود متفاوتة ومتعددة، إذ إن طريقة البيان الأدبى، الذى هو بيان فنىّ مؤثر للإنسان، مختلفة بكل ما لهذا المعنى من الغناء والعمق والغموض.غير أنه إذا تطرقنا إلى التعاطف والتشيّع والتوافق بين الأدباء بالدراسة والتحقيق، اعتبر الأدب المقارن فى عداد «حوار الحضارات»، فيستحقّ الدراسة. وبوسعنا اقتطاف الإنجازات العظيمة المجدية لهذه الدراسة مابقى الدهر وعاش الإنسان، إنجازات لها دورها الرئيس فى إثراء التجارب البشرية وإخصابها وارتقائها واكتمالها.

كما أن أدباء وعلماء مشهورين منهم: غوته (Goethe)، و دانته (Dante)، و هايدغر (Heidegger)، و ريلكه (Rilke)، و هوفمنستال (Hvfmnstal)، و مونتسكيو (Montesquieu)، و فيتزجرالد (Fitzgerald)، و ويليام جونز (William Jones)، و جان ملتون (John Mltvn) تأثروا بأدب الحضارة الإيرانية ـ الإسلامية،[1] ولحلولهم فى الميدان المغنطيسى لهذا الأدب الغنىّ الفاخر أُغرموا به و وصفوا إنجازاتهم الجديدة وما فى آثارهم من الحيويّة بأنها حصيلة معرفتهم لذاك الأدب.

٢. ضرورة البحث

إن إيران باعتبارها بلداً شرقياً ـ اسلاميّاً، وإن لم تفز حتى الآن بالمكانة التى تليق بها فى الأدب المقارن رغم سابقتها الغنيّة، إلّا أنها لا يُنكر ما لها من دور مميّز فى كل ما توصل إليه الأدب العالمى فى كثير من الأعمال والموضوعات والبنى الفكرية وأن العالم رهين فى كل هذا بالأدب الإيرانى الإسلامى السامى.

[1] *آفاق الحضارة الاسلامية*، السنة الخامسة عشرة، العدد الاول، الربيع و الصيف ١٤٣٣ هـ.ق

Archive of SID

www.SID.ir

یعتبر المجتمع الإیرانی والمجتمع العربی عنصرین مصیریّین بنّائین فی الأدب الإسلامی وحضارته، فأصبح المجتمعان هذان ذَوَی تبادلات مباشرة و تشابهات، فتقاربا أدباً، إذن فمن الإنصاف فی الدراسات المقارنة أن یقع هذا الأمر موقع الاهتمام فی أذهان المحققین والباحثین کمجال أوسع وأعمق فی التفاعلات الفکریة والأدبیة.

لا ریب فی أن البحث عن أفکار أدباء هاتین المنطقتین ووجهات نظرهم یمکّننا أن نعرف خلفیاتهما الذهنیة والروحیة بقلب صادق، وأن نسعی إلی توثیق العلاقات الودّیة المعقولة أکثر فأکثر. خاصة إذا اعتقدنا أن عصرنا هذا بحاجة ماسّة إلی دراسة آراء أعاظم الأدبین الفارسی والعربی وأعمالهم فی الدرجة الأولی وغیرهما من الآداب فی الدرجة الثانیة.

۱.۲ منهجنا فی البحث

إن الأدب فی کلیاته نوع من التکرار والإعادة، کما فی قول الشاعر الإیرانی:

یک قصه بیش نیست غم عشق و این عجب　　کز هر زبان که می‌شنوم نامکرر است

(غزلیات حافظ)

ـ لیس العشق الا قصة واحدة کلّما یتکرّر علی الالسن فهو جدید.

إن موضوع هذه المقالة هو دراسة مقارنة بین السنائی الغزنوی، الشاعر الفارسی الکبیر ومن متقدمی المتصوفة، وأبی العتاهیة الشاعرالعربی شاعر الزهد، ونتعرض لهذه المقارنة بین الشاعرین بأسلوب وصفی ـ تحلیلی فی ذکر الموت لشدة بروز هذا العنصر عندهما.

إن ذکر الموت من المواضیع التی طالما إهتمّ المفکّرون بدراستها إذ کانوا یعتبرونه موضوعا لائقاً بالبحث والتفکر، ذلک بأن الموت لیس النوم الأخیر وإنما هو الیقظة الأخیرة للإنسان ولایصحّ أن نتصور له حدوثاً دفعیاً بل یحدث شیئاً فشیئاً و یتجلّی فی کل لحظة من العمر. إن الناس بأجمعهم یکادون یفوّتون الحیاة لحظة لحظة، وساعة الموت هی التی لم یبق فیها للإنسان شیءٌ لیخسره، فظاهرة الموت أکثر حدوثا فی الحیاة من الحیاة بنفسها، إذ لا أحد إلا وهو میّت یوما ما، بید أنه لیس هناک من یعیش أبدا.

فالتفکر بالموت أصبح علی مدی التاریخ یحتلّ أذهان الناس جمیعا لمسایرته الوثیقة للحیاة، ولاسیما الأدباء الذین نظر کل واحد منهم إلی الموت بروحه اللطیفة نظرة خاصة. ففی الأدب العربی «یحسب الشاعر الجاهلی الإنسان مساهماً للأشیاء فی الکون، علی أنه یشعر بأنه یعیش عابراً، فالحیاة فی نظره عبث تافه، والقبر بیت الإنسان، بیت حقیقی له» (ادونیس، ۱۳۷٦: ۱۳). فیما أن من الشعراء من أعرب عن أحاسیسه إزاء الموت بنظرة سلبیة إلیه، وعدّه أساس الدمار

Archive of SID

www.SID.ir

والإخفاق والخراب، ومنهم من واجهه بصبر وأناة أكثر، وآخر اعتقد أن الحرب والفروسية ضرورة فرضها تقدير الحياة على ابن آدم كی يجهّزه أمام تقدير الموت، مما يزيد مسيرة الموت سرعة. إن شخصية الشاعر العربی الجاهلی لم يعترها تغيّر أساسی فی الجاهلية وفی العهد الأول من تاريخ الإسلام، ولكن اصطبغت بصبغة إلهية، وفيما بعد أصبح اللجوء إلى اسم الله ترحيباً بالموت عن تبصّر واختيار، مما يبشّر الإنسان بالحياة الآخرة والخلود وعدم الفناء فيها. أما الشاعر فی العهود اللاحقة فيتمسک بـ «الحال» ويأمن نفسه من عواصف الموت، وينجو فی «الحال»، وإذا استدعی الشاعر الموت الشرس إلى نفسه ويستأنف الحياة فی حضوره، يجعل به الموت خاضعاً له ويلقی الموت عن إرادته لا عن ذلة واستكانة له (المصدر نفسه: ٤١). هكذا كانت الطرق لمواجهة الحياة والموت مختلفة متعددة، والجميع أرادوا أن يواجهوا هاتين الحقيقتين الحتميّتين مواجهة عقلانية. فالبعض ذهبوا إلى أن الحياة موت على وجه الأرض، والآخرون عدّوه حقيقةً لايمكن تناسيها ولا التغافل عنها. وهناک فريق رآه نهايةً يجب أن يحتضنها الإنسان ويعبر عنها، كما أن أبا العلاء المعری يشبّ فی ضميره جحيماً ويدخله مناجيا الموت، فيتحدث معه ويصادقه ويتحبّب إليه ويتمنّاه ولم يزل يدعوه حتی أتاه اليقين، أو شاعر كأبی العتاهية بعد عهد طويل فی شرب المدام، والتأكيد الذاتی، وتجربة الصحوة والسكر، والخمر والفرح، والحب الجسمانی والغرام الروحانی وصل إلى مستوی أدنی من فكرة المعری فاختار الزهد باعتباره أول رد فعل مباشر إزاء الحياة، فيری الموت إكسيرا مطهّرا منقذاً. فالموت وذكره موضوعٌ يواكب الحياة جنبا إلى جنب ما دامت قائمةً، فكما أن الحياة جارية فی قلب الإنسان وعقله مجری الدم، فالموت أيضا ـ شأنه شأنها ـ يدبّ فی عروقه ويتسرب فی وجوده ويشغل باله.

٣. لمحة إلى حياة السنائی

أبوالمجد مجدود بن آدم السنائی الغزنوی الشاعر الحكيم و العارف الكبير فی القرنين الخامس والسادس كنّی بأبی المجد وتخلص بالسنائی. ولد على أرجح الآراء فی أواسط المنتصف الثانی من القرن الخامس أو أوائل هذه الفترة (صفا، ١٣٦٩: ٥٥٣). كان فی بداية أمره ينشد المديح فأشاد بملوک غزنة ووزرائهم، ومردّ مدحه إلى الحاجة والفقر، وإن كان ذا طبع منيع و همة عالية، إذ يقول:

از برای لقمه نان برد نتوان آبروی — وز برای جرعه می رفت نتوان در سعير
از خردمندی و حكمت هرگز اين كی در خورد — كز پی نانی بدست فاسقی باشم اسير

(السنائی، ١٣٧٨: ٢٩٤)

Archive of SID

www.SID.ir

ـ لایجدر بالمرء أن یفنی عرضه لقطعة من الخبز ولاینبغی له أن یدخل السعیر لجرعة خمر.
ـ لستُ بعاقل لو کنتُ أخدم فاسقا للحصول علی بعض من الطعام.

و قد حدث له من الثورة النفسیة والتحول الروحی ما حدث ـ لا محالة ـ لغیره من الشعراء مثل الغزالی والعطار والمولوی، ولکن إلی جانب فکر ه العالی، هناک حوادث باغتة کان لها أثر کبیر فی قلبه و روحه (زرین‌کوب، ۱۳۷۸: ۱٦۱). سرعان ما انتشرت آثاره فی الآفاق زمن حیاته، وذاع صیته، و اتسع شعره علی نطاق واسع فی ساحة اللغة الفارسیة برمتها، فما کان یسافر إلی مکان ما حتی یجد شعره قد سبقه إلیه و هذا التوفیق وهذه النعمة لم یتیسر لأحد من القدماء إلا لسعدی وذلک بعد السنائی بقرن ونصف (شفیعی کدکنی، ۱۳۷۲: ۱۱).

۱.۳ آثاره

دیوان السنائی بتصحیح المدرس الرضوی المشتمل علی المدحیات و الزهدیات و القلندریات و ترکیب بند[۲] و ترجیع بند[۳] و المسمّط و الغزل و القطعة و بعض الرباعیات (السمرقندی، بلاتا: ۱۰۸؛ بروین، ۱۳۷۸: ۳۰۱–۳۰۹). و حدیقة الحقیقة و طریقة الشریعة ومثنوی سیرالعباد إلی المعاد وأیضاً مثنوی کارنامه بلخ أومطایبه نامه وهو علی وزن *الحدیقة* (*دیوان السنائی*، مقدمة المدرس الرضوی). وتحریمة القلم فی ۲۰۲ من الأبیات. إن السنائی صاحب أشعارعرفانیة علی سیاغ الغزل، والواقع أنه مبدع الغزل العرفانی، لم تتّسم غزلیاته بالکمال فی النضج واللطافة وما یفتقر إلیه الغزل من الشوق والحرارة ولکنّه شقّ الطریق لمن بعده.

یتعلق حجم عظیم من المقومات الذاتیة (themes) لأشعاره بالعرفان العبودی (زرقانی، ۱۳۷۸: ۱۰). إن هذا القسم من أشعاره حافل بالمعارف والحقائق العرفانیة والتمثیلات التعلیمیة التی أفرغها فی سیاق رصین وعبارة جزلة لطیفة. إنه لم یتجنب من کثرة استخدام العبارات والکلمات العربیة فی أبیاته، ودبّج کلامه بتلمیحات من الأحادیث والآیات والقصص والتمثیلات واستند إلی المستدلات العقلیة والاستنتاج منها فی سبیل إثبات مغزاه و کذلک استخدم غیر قلیل من المصطلحات العلمیة فی مختلف علوم عصره مما کان مضطلعا فیه، وهذا ما جعل کثیراً من أبیاته تتّسم بالتعقید حیث تحتاج إلی التفسیر و الشرح (صفا، ۱۳٦۹: ۷۸۳).

إن قسما آخر من أشعار السنائی یتألف من المقومات الداخلیة المرتبطة بالحب والعرفان الغرامی، تتمثل هذه الأشعار فی قصائد من روح درویشیة أو غزلیات وکلمات غزلیة، إن للأخلاق فی نظره أهمیة خاصة، وما قدّمه السنائی من الأخلاق فی شعره یوافق الشریعة فی کثیر من الأحیان، ولیس القسم الذی یتعلق بالمستحسنات الصوفیة هو الذی یوافق الأخلاق

Archive of SID

www.SID.ir

الإسلامية فحسب. تقوم أخلاقياته على أساس من التعاليم الدينية مفعمةً بالوصايا الأخلاقية التى سبكت فى الوعظ والحكمة على منهج الوعظ الدينى. وللمباحث الفلسفية أثر كبير فى أعماله (السنائى، ١٣٥٩: ٢٩٥).

إنه فعل ما فعله ملك الشعراء بهار فى عصرنا هذا، أىْ منح بناءً تقليدياً للشعر و رونقاً وبهاءً جديداً، وأدخل فى هذا الشكل الفاخر الجليل تجربة الزهد والمثل وحجماً كبيراً من الأفكار العرفانية. إنه يعتبر فى عدة من مجالات الشعر، شاعرا فاتحا لعهد جديد (epoch maker). كان الأساتذة الكبار فى القرن السادس يسعون إلى تقليد قصائده وغزلياته لعلّهم يصبحون من نظراء هذا الشاعر العبقرى، فعلى سبيل المثال، هذا الخاقانى الذى ينبثق شعره انبثاقا كاملا من أسلوب السنائى يرى نفسه بديلا له، ويحاول أن يدخل فى الوعظ والنصيحة ويقرض فى التوحيد والحكمة (صفا، ١٣٦٩: ٧٨٣). إن لشعره وحياته عهدين، فيبدو فى العهد الأول شاعر البلاط الذى يمدح ويكتسب بشعره، وإلّا أنّ أشعاره فى هذه الفترة تمتاز بالتبحر واللطف وحسن النسيج والأستاذية ومتأثرة بالشعراء القدامى الكبار منهم: العنصرى، والفرخى، ومسعود سعد سلمان ولاسيما الفرخى منهم (المصدر نفسه: ٢/ ٥٦٥).

أما المرحلة الثانية من شعره فهى مرحلة نزعته إلى الزهد والعرفان وإنشاد الشعر الحاوى للمعانى العرفانية والأخلاقية والحكمية. وصفه هرمان اته بأنه أقدم شاعر كلاسيكى فى إيران أنشد فى الوعظ (سليم اختر، ١٣٦٥: ٧، ٨). إنه كذلك تأثربالغزالى و كتابه إحياء علوم الدين خاصة بفصل أسرار الصلوة وآداب تلاوة *القرآن* وباب العلم والعقل، وآداب المجالسة و ترويض النفس وآفات الشهوة (علوى مقدم، ١٣٦٨: ١٤٧، ١٤٨).

٤. أبوالعتاهية وحياته

هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، كنّى بأبى إسحاق و ابوالعتاهية لقب غلب عليه. كان من موالى بنى عنزة، ولد سنة ١٣٠هـ فى عين التمر من ضواحى الكوفة، و توفّى ببغداد سنة ٢١٠هـ (الخطيب البغدادى، ١٩٣١: ٦/ ٢٥٠؛ ابن المعتز، ١٩٧٧: ٢٢٧، ٢٢٨).

نشأ أبوالعتاهية فى الكوفة وقضى طفولته فيها، وسرعان ما ظهرت عليه بوادر من نبوغه فى الشعر، وبدأ شعره يجرى على الألسن وقرئ فى كل مجلس. لم يكن شاعرنا من بيت عريق شهير و تظاهره بالتخنث يوحى بأنه رجل من أهل الخلاعة يعانى من فراغ اعتقادى، وعنده نزعة إلى اللهو واللعب. ولكن ميله إلى الإباحية والحياة اللاهية قد دفعه إلى فرقة فى الكوفة مشهورة بالفسق. هذا ومن ناحية أخرى كان الشاعر يختلف إلى مجالس العلماء والمتكلمين فى مساجد الكوفة مما أدى

Archive of SID

www.SID.ir

إلی إتقانه العربیة حتی تمرّس فیها واطلع علی مختلف المذاهب ومتضارب الآراء (شوقی ضیف، ۱۹۶۹: ۲۳۸؛ الاصفهانی، ۱٤۲۳: ٤/ ٥-۸). و بعد دخول مجالس القصف و اللهو تعرّف علی إبراهیم الموصلی المغنّی الشهیر وأصبح یهوی إمرأة نائحة من أهل الحیرة اسمها سُعدی، ولکنها أعرضت عنه، فضُربَ الشاعر مئة سوط فی سبیل سعدی، إذ هجا مولاها معن بن زائدة.

و قد نجح شاعرنا بأشعاره فی إرضائه وتمکّن من أن یثیر تحبیذ الخلیفة له، فلقی لدیه حظوة کبیرة، ونال سعة العیش. ولکنه لما کثر تشبیب أبی العتاهیة بعتبة جاریة زوج المهدی أُمرَ بجلده ثانیة، ثم حُبس حتی خلص من السجن بوساطة الآخرین.لم یزل أبو العتاهیة یعیش فی الرفاهة والمتعة إلی زمن الرشید، وفی عهده أعرض عن الغزل فجأة فی سنة ۱۸۰هـ وعزم علی الزهد وانقطع إلی الزهدیات وذکر الموت وأهواله. حاول الرشید کثیرا ومن طرق متعددة أن یحثّ الشاعر علی مدحه، فامتنع حتی أمر الرشید بجلده وحبسه (المصدر نفسه: ۳۵). منذ ذلک الوقت التفت شعر أبی العتاهیة إلی الزهد وذکر الموت والفناء والثواب والعقاب والحکمة و الموعظة.

أما الأشعار المأثورة عن أبی العتاهیة فیشتمل قسم منها علی الزهدیات والقسم الآخر یتعلق بالمواضیع والأغراض الأخری مما یقلّ عن القسم الأول حجماً. فی القرن الخامس الهجری جمع یوسف بن عبدالله القرطبی المتوفی سنة ٤۲۳ هـ ما للشاعر من الزهدیات، أما سائر أشعاره فقد جمعها الأب لویس شیخو.

یعتبر أبوالعتاهیة من کبار مدرسة التجدید فی الشعر العربی، فشعره یحکی عن نزعة ناجمة عن ابتعاده من التقالید الموروثة فی عصره، والعنایة بالحوائج الجدیدة للمجتمع العربی (*دائرةالمعارف الإسلامیة الکبری*: ٥/ ۷۲۷). إن شعره یصوّر لنا عصره بعینه، وفی أبیاته من الانسجام والترابط ما یوحی بأنها کلمات یومیة لفظت واحدة تلو الأخری (بروکلمان، ۱۹۹۳: ۳٥٤؛ البهبیتی، ۱۹٥۰: ۳۸۹). فلقد استخدم فی شعره أوزانا جدیدة لم تکن قبله معروفةً لدی العرب، نحو بحر المضارع: مفاعلین فاعلاتن مفاعلین ولاینفک یحذف منه التفعیلة الأخیرة (شوقی ضیف، ۱۹٤٦: ۱۹٤).

٥. الزهد فی شعر السنائی و أبی العتاهیة

قضی السنائی وأبوالعتاهیة کلاهما فی حیاتهما عهدین ترکا أثرا بالغا فی بناء شعرهما والمادة الرئیسة لأفکارهما، والذی أحدث العهد الثانی من حیاتهما أسفر عن ثورة نفسیة فیهما ظهرت آثارها فی أدب الشاعرین. فکلاهما أبدی رد الفعل الزهدی قبال الحیاة وقدّم کلمات بدیعة فی الزهد لامثیل لها، وإن نجد بینهما فی الزهد فارقاً، فکان السنائی زاهدا عارفا، بینما نری زهد أبی

Archive of SID

www.SID.ir

العتاهية ذا لهجة باروكية مضطربة. قد بذل الشاعران جهدهما ليخلقا علـى الأرض عالمـا قدسـيّا يربط بنی آدم بالله والآخرة عبر انتظار حلول الموت الحقيقـی، واتخـذا نقطـة انطلاقهمـا الزهـد والتقوی. يتطرق هذا المقال إلی موازنة المقومات الذاتية للزهد فی شعر الشاعرين بقطع النظر عن المظاهر البديعية وفصاحة لسان أی منهما.

إن الزهد اختاره السنائی وأبو العتاهية وذكر الموت هو إظهار هذا الزهد.و يعدّ السـنائی مـن أول من اختاروا طريقاً وسطا بين الزهد الشائع عند الزهاد المتدينين والعرفان الذی أبدعه الحسن البصری، إنه وضع زهدا تلفيقياً، زهدا معتدلا بين التشـدد الزهـدی للغزالـی والخواجـه عبـد الله الأنصاری ودرويشية أبی سعيد أبی الخير، فخلق عبر إدماج هاتين النزعتين ما يدعی بـ «الزهـد العرفانی»، و هذا النوع من الزهد لما فيه من اتساع ورحابة أكثر من غيره، فتح أمامه نوافذ جديدة إلی عالم أوسع. إن شعره كله تعليمی حتی هزلياته (فروزانفر، ١٣٠٩: ٥٤).

إنه أول شاعر أورد معانی العرفان العبودی فی الشعر الفارسی بصورة واسعة، بل ولـه فضـل السبق فی إيراد العرفان الغرامیّ فی الشعر (زرقانی، ١٣٧٨: ٢٢).

تمكن السنائی من إيراد التجارب الروحانية للعرفاء والزهاد فی الفترة من القرن الثـانی حتـی القرن الخامس التی نشرت فی كتب منها: اللمع للسـرّاج وقـوت القلـوب لأبـی طالـب المكـی، والرسالة القشيرية و حتی إحياء علوم الدين للغزالـی، اسـتطاع أن يوردهـا فـی مجموعـة مـن صياغات تقليدية مجربة فی الشعر الفارسی، ويخلق شعر «الزهد والمثل». قصائد نحو:

مكـن در جسـم و جـان منـزل كـه ايـن دون اسـت و آن والا
لاتقطـن فـی الجسـد و الـروح فهـذا دون و هـی عاليـة

أو: ای خداوندان مال، الاعتبار (السنائی، ١٣٤١: ١٨٢).

ـ اعتبروا أيها الأثرياء

أو: ای سنائی بی كُله شو، گرت بايد سروری (شفيعی كدكنی، ١٣٧٢: ٢٤).

ـ ياسنائی! لوطلبت السؤدد يجب عليک أن تتزّهد فی الدنيا تورّعاً.

و من قبل السنائی كان هناک عرفاء متذوقون مطبوعون علی الشعر مثل الشيخ أبی سعيد أبی الخير، وشيخ هرات الخواجه عبدالله الأنصاری، ذكروا بعض الكلمات الصوفية فی أشعارهم، منها: دل (القلب) وجان (الروح) وهستی (الوجود) ونيستی (العدم) والكفر والدين وجام (الكأس) وباده (الخمر) ومستی (السكر) وشاهد (الحبيب) وخرابـات (الخمّـارة) والمسـجد والخانقـاه، والعشـق والقلندرية، والفناء والبقاء وما إلی ذلک، أو نقلوها عن الآخرين، غير أن مـا انتسـب إلـيهم مـن

Archive of SID

www.SID.ir

الأبیات التی تشمل هذه المصطلحات قلیلة معدودة جداً أو غیر مشهورة لاتذکر. و بعد ما التحق السنائی بسلسلة العرفاء استخدم فی شعره من هذه الاصطلاحات بالکثیرالکثیر بحیث لا نعدو الحقیقة إذا قلنا: إنّه هو المبدع الحقیقی لإدراج المصطلحات الصوفیة فی الشعر الفارسی (بشیر، ۱۳۵٦: ۱۲۱). و لایزال زهد أبی العتاهیة منذ أیامه حتی الیوم موضع ریبة، فتضاربت الآراء فیما إذا کان الشاعر فی الزهد خالصاً صادقاً، أم یشوبه رئاء وتصنع. فالبعض رماه بالسمعة والریاء أو الثنویة أو المانویة أو البوذیة أو الزندقة أو الزرادشتیة وما إلی ذلک (عطوان، بلاتا: ۱۲۷).

وقد أصبح الرمی بالزندقة فی العصر العباسی أمرا عادیا یُلتجَأ إلیه للحطّ من شأن الآخرین، ویُستغلّ کآلة لنیل المطالب السیاسیة والاجتماعیة وغیرهما، وفی بعض الأحیان کان التکدر والبغضاء بین شاعرین ما سبباً لاتهام واحد من الجانبین بالزندقة، فالخصومة الأدبیة والدینیة والسیاسیة کانت من العوامل التی قد تؤدی إلی مثل هذا الاتهام (فروخ، ۱۹۹۷: ۲/ ۳۷). أما من ناحیة أخری فهناک روایات وحکایات تدلّ علی بخل أبی العتاهیة وحرصه الشدید، مما لا یتلاءم مع الزهد والانقطاع عن الدنیا (الاصفهانی، ۱٤۲۳: ٤/ ۱۸– ۳٤). فیما أننا نعثر فی حیاة العدید من العظماء والعرفاء علی مثل هذه التطورات والطفرات الروحیة، والماضی الحافل باللهو والتلاهی لایستلزم الحکم باستمرار هذه الحالة طوال الحیاة.

یمکن أن یرجع سبب التناقضات الموجودة فی زهد أبی العتاهیة إلی ضعف نفسه وعدم استقرار عزمه علی الزهد وأنه لایملک قوة للاندفاع إلی نزعته الجدیدة بکل جوارحه وقد یعاوده المیل عن التزهد الحقیقی، فاتُّهِمَ بالتقلب وفتور الهمة (شرف‌الدین، ۲۰۰۰: ٤٤، ٤٥). وفی شعره وسیرته ما یؤید صدق ادعائه فی الزهد، إن عدم انقیاده للرشید للتغزل له واحتمال إمشاقه بالسوط والاحتباس فی السجن العباسی بسبب هذا الإمساک، وکثرة زهدیات الشاعر وعاطفته الصادقة المتدفقة فی تلک الزهدیات وعدم وجود حجة مفحمة علی قذفه بالریاء أو الزندقة، و... کلها قادرة علی استخلاصه من تلک الشبهات المثارة حوله (الاصفهانی، ۱٤۲۳: ٤/ ٦). تختص زهدیات أبی العتاهیة بالفترة الثانیة من حیاته، وشعره صورة واضحة صادقة ترشدنا إلی تطوراته والمراحل الفکریة والروحیة والنفسیة التی طرأت علیه فی حیاته، کما وشأنه شأن السنائی یقدمّنا صورة من القضایا الاجتماعیة فی عصره.

عندما ترک الشاعر حیاته المعجونة بالغزل والخمر وعطف علی التزهد أنشد فی ما یقارب ثلاثین سنة عن أحوال الدنیا وغدرها، والموت وعدم إفلات أحد منه، وزوال کل شیء، حیث نری فی أشعاره نوعا من التشاؤم والیأس والشعور بعدم الأمن. إنه أفاد فی زهدیاته بظرافة وذکاء من الآیات القرآنیة والروایات وکلمات الإمام علی(ع)، حیث یمکن استخراج أحادیث کثیرة

Archive of SID

www.SID.ir

للإمام علی(ع) من أشعاره الزهدية والحكمية، ليس لأبی العتاهية فی زهدياتـه مـذهب فلسـفی ملتحم الأجزاء ولا هو يجری فی بنيان آرائه علی طريقة فلسفية، وإن كان قد تقلب أحيانـا بـين مذاهب متنوعة فإنه لم ينحز انحيازا صريحا إلی واحد منها (الفاخوری، ١٣٦٨: ٣٢٤). من نظـرة شاعرنا أفضل زهد هو زهادة تكون فيها الرغبة إلی الدنيا ممزوجة بالرغبة عنها و هذا الصراع هو يؤدی إلی كمال النفس و صلاحيتها المعنوية. كما ينشد:

تزاهدتُ فـی الـدنيا، و إنّـی لراغـبٌ أری رغبتـــی ممزوجـــةً بزهـــادتی

(سنائی، ١٣٤١: ٧٦)

يقوم الشاعر أحياناً بملامة نفسه و توبيخها لأنّه يجدها فی نسكها غيرصادقة و يعتقد بأنّه لـو كان بارّاً صدوقاً. فی إدعائه كان ينفصل عن الناس تعكّفاً و يعتزل منفردا.

و لـو أنّـی صـدقتُ الزهـدَ فيهـا قلبـــتُ لِأهلهـــا ظهـــرَ المجَـــنّ

(المصدر نفسه: ٣٢٠)

يری شاعرنا أنّ خير زهد يكون منبثقاً عن ظهر قلب الانسان كما العفو هو جميل عند المقدرة والسطوة:

و أفضلُ الزهدِ زهدٌ كان عن جدةٍ و أفضل العفو، عفـوٌ عنـد مقـدرةٍ

(المصدر نفسه: ٨٣)

يبدو أبوالعتاهية فی زهدياته خطيبا واعظا متأملا ذا تجارب قيّمة، يلقی مواعظه علی النـاس فی لهجة خطابية خاصة، والناس يُقبلون علی كلماته إقبالا واسعا. إنـه يؤكـد فـی شـعره علـی عنصرين؛حقائق الحياة الثابتة وقواعد الدين والأخلاق.يغلب علی كلامه الموافقة للشريعة والتعاليم الدينية كما هو الشأن فی أشعارالسنائی، غيرأنه اعتراه إفراط أوتفريط فی بعض المواضع.

٦. ذكر الموت فی شعر السنائی و أبی العتاهية

إن النظرة العرفانية الحكمية الموافقة للدين إلی القضايا عند السنائی أفضت به إلی عرض وجهين للموت، فالموت فی النظرة الأولی هو منقذ الإنسان من سجن الدنيا دار الفساد ومحيی أهل العدل والدين.

در مرگ حيات اهل داد و دين است وز مرگ، روان پاک را تمكين اسـت

Archive of SID

www.SID.ir

ــ فـی المـوت حیـاة للعـادلین والمقسـطین و الابـرار یستسـلمون للمـوت بکـل رضـایة (شفیعی کدکنی،۱۳۷۳: ۱٤۸، نقلا عن رباعیات خیام).

إن شاعرنا یری الموت هبة إلهیة مبارکة تأتی الإنسان غیر مدعوّة، وعلی الآدمیّ أن یستقبلها بکل حفاوة وسرور.

مرگ هدیـه اسـت نـزد داننـده　　هدیـــه دان میهمـــان ناخوانـــده
سوی دیـن هدیـة خـدایش دان　　آنکـه ناخوانـده آیـدت مهمـان

(سنائی، ۱۳۵۹: ٤۲٦)

ـ الموت لو عرفت تحفة و ضیف غیر مدعو و علیک أن تعرف هذا الضیف الطاریء هدیة الهیة. ویتمناه لیبلغ آخرة جمیلة سمّاها السنائی بالعروس:

کی باشـد کـین قفـس بپـردازم　　در بـــاغ الهـــی آشـــیان ســـازم
بـــا روی نهفتگـــان دل یکـــدم　　در پـــرده غیـــب عشـــقها بـــازم

(سنائی، ۱۳٤۱: ۳۷۱)

ـ متی یمکننی أن أتخلّص من قفص الدنیا وأقطنَ فی الجنات الربوبیة.

ـ و أعشق مستورات قلبی فی ستار الغیب و لو للحظة واحدة.

مرگ چون رخ نمود هیچ منـال　　بدل و جان همـی کـن اسـتقبال

(شفیعی کدکنی، ۱۳۷۳: ۱٤۸، نقلا عن رباعیات السنائی)

ـ کلّما لاح لدیک الموت فلاتجزع و استقبَله بالحرارة و الحفاوة.

أما النظرة الثانیة إلی الموت لدی السنائی هی إهلاکه، فالشاعر فی عرض هذه الصـورة مـن الموت یصفه مشؤوما نحِساً، وباعث الردی والخوف والفزع فی روع الإنسـان، فیجـب أن یفـزع ویحذر من غضب الموت ویهرب منه:

فرش عمرت نوشـته در شـومی　　این دو فـراش زنگـی و رومـی
کی کنف باشـد از بـلای تبـــت　　که کفن باف تست روز و شـبت
برگ دنـــیا خـرد نپســـــندد　　مرگ بر مرگ این جهان خنـدد

(سنائی، ۱۳۵۹: ۱۵۸)

ـ مرُّالایام یطوی عمرک بالشؤم والنحوسة.

Archive of SID
www.SID.ir

ـ ليس مرور الدهر هو سبب علاجک من مرض الحمی، بل هو ينسج لک الكفن ليلا و نهارا.
ـ العاقل لا يتعلق قلبه بالدنيا و الموت يستهزأ من موت هذه الدنيا.

ليس الموت سواء عند السنائی للجميع، فإنه يری المنافقين والمرائين خائفين من الموت فيما يجد المخلصين الصديقين فی دين الله ممن يحبّون الموت. إن الموت لديه هلاک لثلّة، ونجاة وسعادة للآخرين. إن للموت فی اعتقاده وجهين، أحدهما باهر مضیء، والوجه الآخر مسودّ مظلم:

مرگ اين راهلاكت و آن را برگ　　زهر آنرا غذای و اين را مرگ
زآيـــــنه روی را هنر باشد　　گرچه پشتش پر ازگهر باشد
آينه گر چو پشت روی سياه　　بودئی كس نكردی هيچ نگاه

(المصدر نفسه: ٨٧)

ـ الموت بالنسبة إلی المنافق كالعدم و السم الزعاف و بالنسبة إلی الصديق المخلص كالنعمة و الطعام اللذيذ.
ـ الناس ينظرون إلی وجه المرآة ولا ظهرها ولوكان الظهرمن الجواهر.
ـ لو كان وجه المرآة كظهره فاحما، فلايُنظَرُ إليه.

الموت لبعض من الناس سمّ ناقع ولآخرين دواء نافع، وله فی موضوع «الممات فی الحياة» أشعار، فيعتقد أن الجهل والهوی والوقوع فی الشهوات النفسانية هو الممات فی الحياة، وأن التقوی الحب ومخالفة الهوی والعلم والدين هی الحياة، ولو يكون صاحب هذه الخصال قد مات.

مردگی جهل و زندگی دينست　　هر چه گفتند مغز آن اين است

(المصدر نفسه: ٩٦)

ـ هذا هو مبدأ العالم: الجاهل هو الميت و المتدين هو الحیّ.

إن أفكار السنائی بعثته علی أن يری الموت بين ما خلق الله مشتركا علی السواء. فالموت فی نظره سبب شقاوة حفنة وتعاستهم، وهو مستأصل الناس، ومخزی الملوک، ومعلّم تجارب وحكم نفيسة، ولا أحد فی نظره يستطيع الخلاص من الموت:

از ثری تا باوج چرخ اثير　　همه ميرندهاند دون و امير

(المصدر نفسه: ٤٢٠)

ـ الناس يموتون فی نهاية العمر لو كانوا فقراء أو أثرياء، أم عاشوا فی الحفر أم فی السماء.

Archive of SID
www.SID.ir

ولایستثنی من الموت شیئا حتی الموت نفسه وفی اعتقاده أنه یُراق دمُ الموت فی المحشر:

گر تـرا از حـواس مـرگ بریـد　　مرگ هم مرگ خود بخواهد دید
مرگ اگر ریخت خون ماده و نر　　هم بریزنـد خـونش در محشـر

(المصدر نفسه: ٤٢٥)

ـ لو همّدک الموتُ تمویتا،سیُهلَکُ نفسُه مماتا أیضا.
ـ لوذبح الموتُ الذکر و الأنثی بأجمعهم، سیُراقُ دمُهُ فی یوم الحشر.

أما أبوالعتاهیة فإنّه لایری من الوجهین اللذین یعرضهما السنائی فی شعره للموت إلا واحـدا یدل علی أن الموت عنده سلبیّ مفزع مهلـک، فیسـتهلّ القـول بـدخول القبـر وشـدائد المـوت ووحشة الأجداث وتسائلات تجری فیها والبقاء تحت جنادل توضع علیها:

ماللمقـــابر لاتُجیـــــ　　بُ اذا دَعـاهنّ الکثیـب
حُفَـرٌ مسـقّفه عَلَیـــ　　هنّ الجنادِلُ و الکثیـب

(ابوالعتاهیة، بلاتا: ۱۰۰ الزهدیات)

فالموت فی نظره لهیب نار متوقدة تتّسع وتتلظی، وتحرق کل شیء ولا ینجو منها أحـد، فهو مورد لا مصدر له وکلٌّ یردونه ولا صادر منه، وهو داء بلا دواء، وغول أفوه یسـعی إلـی الإنسان یلتهمه:

نارُ هذا الموت فی الناس طُرّآ　　کـلَّ یـومٍ تزیـدُ التهابـآ

(المصدر نفسه: ۲۸ الزهدیات)

و ماالموتُ الاّ موردُ دونَ مصدر　　و ماالنـاس الا واردٌ بعـدَ واردٍ

(المصدر نفسه: ٨٤ الزهدیات)

لَلمُوت غُولٌ فکن ماعشت مُلتَمِسآ　　مِن حَولِه حِیلـهً إن کُنـتَ مُحتـالا

(المصدر نفسه: ۲۱۰ الزهدیات)

باعتقاد أبی العتاهیة یمحو تذکر الموت لذة العیش فیبکی بـذکر المـوت علـی هـذا المصـیر الأسود المرّ الذی ینتظره:

و حُـقّ لمـوقنٍ بـالموت أن لا　　یُسـوّغُه الطعـام و لا الشـرابا

(المصدر نفسه: ۱۵)

Archive of SID
www.SID.ir

لو كنتَ تدری ماذا يريد بـک الـــ مـــوت لابلـــی جفونـــک الشُّـــهدُ

(المصدر نفسه: ٨٦)

و حُـــقّ لمـــوقنٍ بـــالموت أن لا يُســـوّغُه الطعـــام و لا الشـــرابا
لابكـينّ فقـد جـدّ الرحيـلُ إلـی بيت انقطاعی عن الدنيا و رحلتيـه

(المصدر نفسه: ٣٠١)

يذكّرنا الشاعر فی طيات أبياته كراراً أنّ الموت هو المصير المحتوم لكل انسان فقيراً كـان أم غنياً، شاباً كان أم كهلاً فلا بد له ان يتهيّا للموت و فراق الأهل و المال:

تعلّقـــت بآمـــال طـــوال، أیّ آمـــال!
و أقبلـتَ علـی الـدنيا ملحّـــاً أیَّ إقبـــال!
أيا هـذا! تجهّـزْ لفـراقِ الأهـــلِ، و المـــال
فلابـــدّ مـــن المـــوت علی حالٍ من الأحـوال

(المصدر نفسه: ٢١٦)

إنه أيضا كالسنائی يری الموت حتمياً يشمل الجميع، وتأثر فی هذا المعنی بكلام الله فی *القرآن*: «أينما تكونوا يُدرككم الموت و لوكنتم فی بروج مشيّدة» (النسـاء: ٧٨). و كـذلک قـول الإمام علی(ع) إذ قال: «لدوا للموت و أجمعوا للفناء و ابنوا للخراب» (*نهـج البلاغـة*: ٣٨٥) فيقول الشاعر:

لـدوا للمـوت و ابنُـوا للخـراب فكلكـم يصـير إلـی تبـاب
ألا يا مـوت! لـم أر منـک بـدّاً أتيتَ و ما تحيـفُ و مـا تحـابی
كأنّک قد هجمتَ علـی مشـيبی كما هجم المشيب علـی شـبابی

(المصدر نفسه: ٧٥)

كثيرا ما يستفيد أبوالعتاهية من لفظة «أين»، ويستخدم الأسلوب الاستفهامی ليلفت نظر القارئ إليه ويجعله يتأمل فيما يقول، وفی ديوانه كثير من هذه العبارات الاستفهامية:

(*شرح ديوان أبی‌العتاهيه*، صفحة ٩، فی وصف الموت وسكراته):

أينَ الأُلی شادوُا الحصونَ و جنّدوا فيها الجنـودَ، تَعـزُّزاً،أينَ الأُلـی؟
أيـــن الحمـــاةُ الصـــابرونَ حَمِّيَـــةً يومَ الهيَاج لِحَرب مختَلـفِ القَنـا

Archive of SID

www.SID.ir

أین الملوکُ بَنُـوا الملـوکِ فُکلهُّـم أمسیَ و أصبحَ فی الترابِ رُفاتـا

(المصدر نفسه: ٤٥)

ینظر السنائی إلی الموت نظرة عرفانیة حکمیة دینیة تتوسم منها المفارقة أو التضاد فی الرؤیة إلی هذه الظاهرة، حیث نستشفّ منها وجهین للموت وجها سلبیاً وآخر ایجابیاً، والجهـة السـلبیة تختلف علی اختلاف حالات الاشخاص. إن الموت مخلِّص لبعض ومعذّب لآخـر، بیـد أن أبـا العتاهیة لایری للموت إلا وجهه الأسود، إذ ینظر إلی الموت من وجهة نظر انفعالیة سلبیة ناقصـة وحیدة الاتجاه.

إن رؤیة أبی العتاهیة رؤیة حکمیة إلی الجانب السلبی من الموت، ابتناها علی التجربة والتأمل فی أحوال الماضین، ولکن اعتقاده إزاء الشریعة غیر کامل ولادقیـق، ذلـک أن الشـریعة تعـرّف الموت کجسر یبلّغ الإنسان إلی الآخرة،وله وجهان مختلفان؛ سلبیّ وإیجابیٌّ.

نظرة أبی العتاهیة هذه إلی الموت بعیدة من العرفان أشد البعد، أما اعتقاد السنائی فی المـوت یطابق الشریعة والطریقة والحکمة والتجربة، کما أن له نسیجا جمیلا من البیان.

إن أبا العتاهیة یضع الإصبع علی ثلاث صفات للموت: شموله وصعوبته وأهواله، والقرار فـی القبر الذی ینغّص ویهدم اللذات، وذکر عاقبة الذین أدرکهم الموت. أما السنائی فوضع للمـوت ــ إلی جانب ما تقدم من سلبیّاته ـ أمورا ایجابیة معتبرة مُنعشة لیعرض الصورة الصحیحة منـه. مـن الملاحَظ فی نظرة الشاعرین هذین إلی الموت أن بینهما مشترکات فی النقاط السلبیة، ولکن أبـا العتاهیة یبالغ فی بیان هذا الخوف.

یتطرق السنائی فی *الحدیقة* إلی بحث موضوعی فی مجال الموت علی انسجام ونظام، بینمـا مُنِیَ أبو العتاهیة فی دیوانه بشیء من التفرق والشتات فی هذا الموضوع. مـن ألقـی علـی شـعر الشاعرین نظرة یتضح له أثر الآیات والروایات فی دیوانیهما، والجمیل فـی بیـان السـنائی عـن الموت یتمثل فی «الممات فی الحیاة». علی أن أبا العتاهیة یذهب إلی أن الأنسان یهبط إلی الدنیا وحیدا، ویفارقها وحیدا، لایکتسب فیها شیئا إلا قبضة من التراب الذی یواریه بعد نزوله فی القبر، فالقبر موضع ذلک التحول والانسلاخ المهیب، بالتراب یتعفّر وجهُ الإنسان، ویتعفّن عَرفُه، ویتحطّم جسده اللطیف، ولایبقی إلا جمجمة عاریة ورفات بالیة، والقبـر هـو المنـزل الوحیـد للإنسـان، والسعادة الواقعیة فی الخلاص من الدنیا.

سقطت إلی الدنیا وحیـداً مجـرّداً و تَمضی عَن الدُّنیا وأنتَ وحیـدُ

(المصدر نفسه: ٨٤)

Archive of SID

www.SID.ir

تتمثل أوجه الاشتراک بين الشاعرين فيما يلی:

كلاهما يتمتع بالثقافة الإسلامية والمعارف الدينية، حيث يتأثران بها فكرياً أثرا كبيرا، ولهما فضل الإبداع فی توسيع الزهد وذكر الموت، كلاهما اقتبس الصور الشعرية من عناصر الحياة العادية العامة، وإن كان كلاهما متصلاً بالبلاط فقلّما يفيدان من العناصر البورجوازية فی شعرهما.

نری كليهما أفرغ المعقولات فی سبيكة محسوسة، ليقرّب المعنی إلی ذهن السامع، وإن كان استخدام التشبيه بمختلف ضروبه أكثر فی شعر السنائی منه فی شعر أبی العتاهية.

أما جوانب الاختلاف بين السنائی وأبی العتاهية فتتلخّص علی النحو الآتی:

إن وحدة النسيج وصور الخيال فی شعر السنائی أقوی من شعر أبی العتاهية، ووحدة الموضوع وانسجام الأبيات فيه أبرز منه. أكثر اهتمام الشاعر العربی فی عرض الصور الشعرية يتركز علی الطبيعة الحيّة النفور، بينما يعتنی الشاعر الفارسی فی هذا الأمر بالأشياء الصناعية الوضعية عنايته الكبری مما ينقص شعره حيويةً وتحركاً.

قد أقبل أبوالعتاهية علی الاستعارة أكثر من نظيره الفارسی، والسنائی له تشبيهات أدق وأروع وأكثر مما أورد الشاعر العربی فی ديوانه. أما فی الموسيقی الشعرية فالسنائی يلتفت أكثر ما يلتفت إلی تكرار الحروف، إلا أن أكثر عناية أبی العتاهية تكمن فی تكرار العبارات والكلمات. و مما يوليه السنائی بالغ اهتمامه هو عنصر التضاد فی الصورة الشعرية،و هو ما لايمتلكه أبوالعتاهية فی شعره.

يبدو السنائی من خلال شعره عالم دين، وعارفاً محباً، وحكيماً فذاً، وواعظاً مشفقا، وناقدا اجتماعيا، وفيلسوفا طويل الباع، ومتكلماً متبحرا، وتظهر شخصية أبی العتاهية عبر شعره زاهدا حكيما، وواعظا مشفقا، ناقدا اجتماعيا، وخطيبا مصقعاً. ينظر أبوالعتاهية إلی الدنيا نظرة الخائف المتشائم الحذر، ولكن للسنائی رؤية شمولية عميقة إلی هذه القضايا، رغم أن أبا العتاهية يفكّر فی الموضوعات بصورة أبسط وأكثر قشرية.

قد عرف السنائی أن أفضل وسيلة لنقل التجارب والمشاعر فی الزهد والعرفان هو التوسل بالرواية والحكاية والتمثيل، فلم يشكّ فی استخدام هذه العناصر بينما لانجد هذا الفعل فی شعر أبی العتاهية إلا فی الأقل النادر. حظیَ شعر أبی العتاهية ببحور وأوزان شتی، والسنائی إنما استفاد من بحر الخفيف وهو المناسب لمختلف الأغراض الشعرية و منها المفاهيم التعليمية.

إن الاسلوب الخطابی فی شعر أبی العتاهية أقوی ولغة شعره أقرب إلی اللغة العامية، كما أنه أكثر من استخدام اساليب الخطاب نحو النداء والاستفهام والتعجب والتكرار ما حطّ فی بعض المواضع من قيمة شعره.

Archive of SID

www.SID.ir

۷. النتيجة

إن السنائی الشاعر والعارف الإيرانی فی القرنين الخامس والسادس وأبا العتاهية الشاعر العراقی الشهير فی القرنين الثانی والثالث للهجرة، بعد إنفاق المرحلة الأولی من الحياة فی البلاط ومدح خلفاء العصر، اعترتهما ثورة نفسية إثر تحولات روحية فيهما، وسلكا فی طريق العرفان والزهد والتصوف. يتمثل إنجاز هذه الفترة الثانية من حياتهما فی أشعار اختصّت بالزهد والموعظة وذكر الموت والحكمة والأخلاق. إنهما عمدا إلی خلق آثارهما فی تلك الفترة بالتزام أدبی قائم علی منظومة التعاليم الدينية والشريعة، وتطرق هذا المقال إلی دراسة الالتزامات والتشابهات الموضوعية والبيانية فی *حديقة الحقيقة وطريقة الشريعة* للسنائی، و ديوان أبی العتاهية، مما أسفر عن نتائج تأتيكم علی النحو الآتی:

١. إن الشاعرين كانا ملتزمين بالتعاليم الدينية والشريعة وأقاما أعمالهما علی أساس منها، وإن كان أبوالعتاهية اعترضه التفريط والافراط فی بعض المواضع.

٢. للسنائی إلی الموت نظرة عرفانية حكمية دينية حافلة بالتضاد، ولكن أبا العتاهية ينظر إليه بنظرة باردة منفعلة وحيد الاتجاه.

٣. يبرز الخوف من الموت فی شعر كلا الشاعرين بجلاء ووضوح، ونجده فی شعر أبی العتاهية أكثر مبالغة.

٤. إن الانسجام والتناسق بين الموضوعات المتعلقة بالموت فی *الحديقة* أكثر منهما فی ديوان أبی العتاهية الذی يعانی من شیء من تفرق المواضيع هنا وهناك.

٥. نری كليهما أفرغ المعقولات فی سبيكة محسوسة، ليقرّب المعنی إلی ذهن السامع، ولهما فضل الإبداع فی مجال توسيع الزهد وذكر الموت، باستخدام عناصر الحياة العادية العامة.

٦. إن للسنائی صورا شعرية أقوی من أبی العتاهية، ووحدة الأبيات فی شعره أبرز مما للشاعر العربی.

٧. قد أقبل أبوالعتاهية علی الاستعارة أكثر من نظيره الفارسی، والسنائی له تشبيهات أدق وأروع وأكثر مما أورد الشاعر العربی فی ديوانه.

٨. يبدو السنائی من خلال شعره عارفا، وشاعرا، وحكيماً، ومعلما حاذقا، وفيلسوفا طويل الباع، بينما بدا أبوالعتاهية عبر شعره زاهداً واعظاً، وناقداً دقيقاً.

الهوامش

١. الكوميديا الإلهية لدانته متاثرة بـ «ارداويرا فنامه» و «سيرالعباد الی المعاد» للسنائی، سهيلا صلاحی مقدم، «آثار

Archive of SID

www.SID.ir

سنايی وادبيات تطبيقی»، مجلة كتاب هفته، رقم 18 ¡233 نيسان 2005/9 ربيع‌الاول 1426 ص 6 (نيكلسون ويـان رييكا أيضا يعتقدان أن هذه الأعمال فی اللغة الفارسية أثرت على أدب الغرب) د. محمود فتوحی، تحول‌آفرينـی در غزل و مثنوی عرفانی، مجلة كتاب هفته، رقم 18 ¡233 نيسان، 2005/9 ربيع الاول ¡1426 ص4 .(فـی المسـيرة التاريخية للدراسات المقارنة يمكن الإشارة إلى منظومة تمثيلية "سيرالعباد" للسنائی و ما يشابهها من الآثار فـی الأدب العالمی نحو ارداويرافنامه فی الأدب الزرادشتی، وقصة معراج النبی الأعظم (صلى الله عليه و آلـه) (رسـالة حی بن يقظان لابن سينا، رسالة الغفران لأبی العلاء المعرّی الشاعر العربی، الكوميـديا الإلهيـة لدانتـه، الفـردوس الضالّة لجان ملتون الشاعر و الأديب الانجليزی ¡(1667) مصباح الارواح لمحمد بردسيری كرمانی، جاويدنامـه لاقبال اللاهوری و «سير و سلوک زائر» لجان بانی ين. كما أنه يوضع فی هذا الغـرار مـا يقـوم بـين سـعدی و المتنبی، رودكی و المتنبی، ابوالعلاء المعری و السنائی، الحافظ و ابـن الفـارض و كثيـر مـن الأدبـاء القـدامی و المعاصرين من التأثير والتأثر.

٢. نوع من الشعر الفارسی وهو عبارة عن قطع شعرية تسمّی كل واحدة بنداً و هی ذات بحر واحد وقافيـة واحـدة، وتنتهی ببيت غير مكرّر، والبند الثانی يخالف بحر البند الأول وعروضه.

٣. نوع من الشعر الفارسی ينظمه الشاعر بحيث يكون عبارة عن عدة أبيات من بحر واحد وقافية واحدة ثم أبيـات أخرى من نفس البحر بقافية مخالفة ويفصل هذا القطع الأبيات المتحدة الوزن دون القافية.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن المعتز، عبدالله (١٩٧٧ م). *طبقات الشعراء*، بيروت: دار المعارف.

ابوالعتاهية (بلاتا). *شرح الديوان*، الشارح مجهول، بيروت: دار صعب.

ادونيس، على احمد سعيد (١٣٧٦ هـ.ش). *پيش درآمدی بر شعر عربی*، ترجمة كاظم برگ نيسی، طهران: فكر روز.

الاصفهانی، ابوالفرج (١٤٢٣ هـ.ق). *الاغانی*، ط ١، بيروت: دار الصادر.

البدوی، عبدالرحمن (١٩٩٢ م). *الديوان الشرقی*، بيروت: دار الجيل.

بروكلمان، كارل (١٩٩٣ م). *تاريخ الادب العربی*، المشرف على الترجمة العربية محمود فهمی حجازی، قاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بشير، علی‌اصغر (١٣٥٦ هـ.ش). *سيری در ملک سنايی*، طهران: مؤسسة بيهقی للنشر.

البهبيتی، نجيب محمد (١٩٥٠ م). *تاريخ الشعر العربی حتی آخر القرن الثالث الهجری*، قاهره: دارالفكر.

الخطيب البغدادی، ابوبكر احمد بن علی (١٩٣١ م). *تاريخ بغداد*، قاهرة: مكتبة الخانجی.

بروين، يوهانس (١٣٧٨ هـ.ش). *شعر صوفيانة فارسی*، ترجمة مجدالدين كيوانی، طهران: نشر مركز.

زرقانی، مهدی (١٣٧٨ هـ.ش). *افق‌های شعر و انديشة سنايی غزنوی*، طهران: نشر روزگار.

زرين‌كوب، عبدالحسين (١٣٧٨ هـ.ش). *با كاروان حله*، طهران: بلانا.

Archive of SID

www.SID.ir

سلیم اختر، محمد (۱۳٦٥هـ.ش). *مرغوب‌ترین موضوعات حکیم سنایی غزنوی*، رقم ۸، طهران: نشر دانش.
سمرقندی، دولتشاه (بلاتا). *تذکرة الشعراء*، تصحیح محمد عباسی، طهران: بارانی.
سنایی، مجدود بن آدم (۱۳٤۱ هـ.ش). *دیوان*، باهتمام المدرس الرضوی، طهران: اتحاد.
سنایی، مجدود بن آدم (۱۳٥۹ هـ.ش). *حدیقة الحقیقة*، طهران: جامعة طهران.
سنایی، مجدود بن آدم (بلاتا). *سیر العباد الی المعاد*، تصحیح مریم السادات حسینی، طهران: مانی.
شرف‌الدین، خلیل (۲۰۰۰ م). *ابوالعتاهیه من الرفض الی القبول*، بیروت: مکتبة الهلال.
شفیعی کدکنی، محمدرضا (۱۳۷۲ هـ.ش). *تازیانه‌های سلوک*، طهران: آگاه.
شفیعی کدکنی، محمدرضا (۱۳۷۳ هـ.ش). *در اقلیم روشنایی*، طهران: آگاه.
شمیسا، سیروس (۱۳۷٦ هـ.ش). *انواع ادبی*، طهران: فردوسی.
صفا، ذبیح‌الله (۱۳٦۹ هـ.ش). *تاریخ ادبیات در ایران*، طهران: فردوسی.
ضیف، شوقی (۱٤۱۹ هـ.ق). *تاریخ الادب العربی، العصر العباسی الثانی*، قاهره: دار المعارف.
ضیف، شوقی (۱۹٦۹ م). *تاریخ الادب العربی، العصر العباسی الاول*، قاهره: دار المعارف.
عطوان، حسین (بلاتا). *الزندقة و الشعوبیة فی العصر العباسی الاول*، بیروت: دار الجیل.
عطوی، علی نجیب (۱۹۸۱ م). *شعر الزهد فی القرنین الثانی و الثالث للهجرة*، بیروت: المکتب الاسلامی.
علوی مقدم، محمد (۱۳٦۸ هـ.ش). «تأثیر غزالی در اندیشة سنایی»، *کیهان اندیشه*، رقم ۲٦.
علیان، احمد محمد (۱۹۹۱ م). *ابوالعتاهیه حیاته و أغراضه الشعریة*، بیروت: دار الکتب العلمیة.
الفاخوری، حنا (۱۳٦۸ هـ.ش). *تاریخ ادبیات زبان عربی*، ترجمة عبدالمحمد آیتی، طهران: طوس.
الفاخوری، حنا (۱۳۸۰ هـ.ش). *الجامع فی تاریخ الادب العربی*، مطبعة الشریعة.
فروخ، عمر (۱۹۹۷ م). *تاریخ الادب العربی*، ط ٦، بیروت: دار العلم للملایین.
فروزانفر، محمدحسن (۱۳۰۹ هـ.ش). سخن و سخن‌وران، طهران: لجنة المعارف.
ندا، طه (۱۹۹۱ م). *الادب المقارن*، بیروت: دار النهضة العربیة.
نهج البلاغة، فیض الاسلام.

Archive of SID
www.SID.ir